

قمصانهم المغطاة بالدماء أو يتزهون في سيارات لم تغسل بعد من بقع الدم . وبدون خجل .

مضى الاسبوع في عد القتلى . يبدو ان وقف اطلاق النار تحقق . مساء هذا السبت : حرائق وتخريب . المرفأ يحترق . نخرج الى الشرفة وريثة مستودعات الكحول . منزلها يواجه التسنة اللهب . المرفأ جزء من أسطورتها . انها تحاول من سطاحتها المحاذية للبحر ان تستصرخ رجال الاطفاء ، والمرفأ يستمر في الاحتراق حتى السابعة صباحا .

صباح هذا الاحد أخرج الى الشارع للمرة الاولى منذ سبعة أيام . عند الاشارة الحمراء تأتيني فتاة صغيرة بعينين زرقاوين تميلان الى الخضرة لتبيعنني حجرا صغيرا ازرق على طريقة المتسولين . اطردها واندم . لقد منحت للحظة هذا الشيء الرخو الذي نسميه العالم نوعا من الحياة . يا لصبر الشمس .

\*

علم فيتكونغ يرفرف فوق مدينة هوشي منه . تلك هي « مانشيت » الجريدة . نحن في الاول من ايار ، والانفجارات التي حصلت خلال الليل ، تدل على ان « الامور » ستنفجر من جديد . يتوقف السير للتو . ويفضل الاتصالات الهاتفية المتواصلة يتأكد لدينا بان السجن ينفلق على كل منا . الفضاء ينفلق على كل منا . نعد الطلقات النارية من الشرفات والسطيحات ونتأمل في تنوعها وحدتها . ننصت الى الاذاعات الاجنبية طوال النهار لتعرف ماذا يجري هنا . لا حكومة ولا اخبار .

يتقاتلون تحت ضوء القمر . في الليل تتضح الاصوات . الصواريخ تنطلق من المسلخ على الدكوانة ، وأخرى تسقط من المكلس على تل الزعتر ، وهو مخيم فلسطيني . المدفع يقصف . والموت يشخط الافق بخط مستقيم .

بين منتصف الليل والساعة الرابعة يندر وجود السيارات . انها فقط سيارات ميليشيا الكتائب . شقتي مقززة ، وفي فضاء مكشوف كمرصد . منها ارى الجبال مشتعلة . انوارها قريبة جدا من النجوم . الانفجارات متقطعة وفضة . ينسحق « الهاون » ككومة من البطيخ الاصفر الفاسد . والبيوت تتساقط في صوت رخو . الصواريخ تجلد البيوت ، والديناميت ينفجر كعين ضائبة ، ثم تأتي زخات الرشاشات كرسائل رمزية لارادة منتصرة . والمدينة تتخفي اكثر فأكثر تحت الرعب محتفلة بهذه الارادة التي هي ارادة الموت .

انها اكثر قفرا من حالة منع التجول . لم نعد نرى القناصسة المختبئين ، وكان الرصاص ينطلق لوحده . هناك اكثر من مائتي باخرة في المرفأ تنتظر تفريغ حمولتها ، ولانها جميعا مشتعلة ، فان بيروت في الليل تبدو وكأنها انتقلت من مكانها وانزلقت فوق البحر . تعطلت حركة الزمن .

الحكومة العسكرية التي شكلت بسرعة تذييع « الاخبار » . ليست نشرات حربية بل نشرات سيادية . كل ساعة يعلن الراديو عن فقء عيون ، عن خصي اعضاء . . . عن وجود اكياس نايلون وبداخلها اجساد مقطعة ومزمية في الساحات العامة . انهم قتلى سكاكين المطابخ وضحايا التعذيب في المقابر .

موريس و « اصدقائه » عندي في المنزل . طوني يساعد الكتائب ماليا لانهم يدافعون كما يقول عن اليمين اللبناني ، وعن المصالح . بيار غير حزبي هو ايضا ، ولكنه يساند